**جامعة تكريت**

**كلية الآداب**

**قسم اللغة العربية**

**محاضرات / علم اللغة**

**المرحلة / الثالثة**

**مدرس المادة / أ.د. عزت ابراهيم حماش**

**المحاضرة الثامنة**

**ثانياً ــ المنهج الوصفي :**

**أ ــ ظهور المنهج الوصفي و أسسه :**

تعد نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر حداً يفصل بين عهدين من تاريخ الدراسات اللغوية الأوربية ، فقد كانت الدراسات اللغوية التي استأثرت بعناية العلماء الغربيين منصرفة إلى البحث في أصل اللغة الإنسانية و نشأتها ، معنيّة بفقه اللغتين اليونانية واللاتينية ، مشغولة بالمقارنة بين اللغات لقياس بعضها على بعض أو تفضيل بعضها على بعض في جوانب متعددة ، منها غزارة المفردات ، و ضخامة التراث الأدبي ، و روعة البيان ثم الحكم لكل لغة أو عليها أحكاماً تجانب الدقة العلمية أو تخالطها النزعات القومية و الأهواء الخاصة .

ويبدو أن علماء اللغة في هذه المدة تأثروا بالمناهج العلمية التي تتخذ من الملاحظة و الاستقراء و التجربة أساليب لدراسة الواقع و اكتشاف ما في الطبيعة من حقائق . فانتبذوا المناهج القديمة ، و آثروا الملاحظة المباشرة و الاستقراء الواسع ، و اكتفوا بوصف ما تقدمه إليهم اللغات الحية المتداولة ، لا اللغات القديمة المكتوبة من خصائص و سمات ؛ لذا أقاموا منهجهم الجديد على ثلاثة أسس هي : الزمان ، و المكان ، و المستوى .

أما الزمان فركن لابد من تحديده قبل إقامة الدراسة عليه ، و هو قيد يقيد بداية المادة المدروسة و نهاياتها بمدة زمنية معينة لسبب معروف ، وهو أن الظواهر اللغوية دائمة التغير ، فإذا لم يحدد الزمان أدرك التغير الظاهرة قبل أن تبلغ الدراسة غايتها أو قبل أن تفضي الدراسة بالدارس إلى نتائج محددة .

و أما المكان فتحديده لا يقل خطراً عن تحديد الزمان ؛ لأن الظاهرة اللغوية تحيا في بيئة خاصة بها . فإذا لم يرسم للظاهرة المدروسة إطار من الأرض ، او سمح للبيئة التي جعلت ميداناً للدراسة بأن تمتد في كل اتجاه اختلطت اللهجة باللهجة وتعذرت الإحاطة بالموضوع . ومن المعروف أن اللغات تتأثر بالأرض والمناخ والموقع الجغرافي ، و أن تأثرها بها في موضعين مختلفين قد يؤدي إلى نتائج مضطربة .

و ثالث الاسس المستوى ، و يعني الوصفيون به اختيار الظاهرة المطروحة للبحث من فئة اجتماعية خاصة ، أو من طبقة محددة الثقافة ، أو من فرع من فروع العلم أو الأدب . فقد يقبل الدارس على دراسة اللغة في مستواها الأدبي الفني ،

وقد يقبل على دراستها في مستواها السوقي ، وقد يختار من المستوى الأدبي العام مستوى خاصاً ، كأن يدرس السرد في القصة أو الحوار في المسرحية . وكلما كان المستوى أدق تحديداً ، و أوضح أبعاداً ، و أضيق مكاناً ، و أقصر زماناً كانت النتائج أقرب إلى الصدق ، و أشبه بالحق.

و لتوضيح هذه الأسس الثلاثة نستشهد بما صنع النحاة العرب الوصفيون ، فقد قيدوا النحو العربي بقيد المكان حينما اكتفوا بما بلغهم من عرب نجد والحجاز ، وقيدوه بقيد الزمان حينما منعوا الاحتجاج بما قيل بعد سنة 150 هـ ، ولكنهم توسعوا في الأساس الثالث ، أي في المستوى حينما احتجوا بالقرآن الكريم و الحديث الشريف و بكلام العرب منثوره و منظومه . ولو ضيقوا المستوى فجعلوه قاصراً على الكتاب و السنة و المنثور و زهدوا في الشعر لجاء نحوهم أقرب إلى الطراد و أبعد عن الشذوذ ، ولكنهم أدخلوا الشعر فيما درسوا فاضطروا إلى تفريع الضرائر ، و اضطرهم التفريع إلى مجاوزة المنهج الوصفي ، و حملهم على اللجوء إلى التأويل و التقدير و التخريج المتعسف .

**ب ــ تطور المنهج الوصفي و أشهر أعلامه و مدارسه :**

إن المنهج الوصفي ليس طريقة واحدة في البحث محددة السمات ذات قواعد ثابتة لا يصيبها التغير . صحيح أن أهم سماته وصف اللغة أو اللهجة المدروسة في مستوياتها المتباينة ، و عناصرها المتعددة ، و التوفر على تحليل أصواتها و أبنيتها و تراكيبها ، وصحيح كذلك أن اللهجات فازت بالحظ الأوفى من عناية الوصفيين ؛ لأن اللهجة المحلية أضيق نطاقاً من اللغة القومية ، و لأن الباحث أقدر على الإحاطة بها ، غير أن المنهج الوصفي لم يلتزم أصولاً ثابتة ، بل تفرع إلى طرائق ، بعضها اتسع في ميدان الدرس بعض الاتساع ، و بعضها ضيّق ميدانه كل التضييق ، ، حتى جعله يكتفي بدراسة الاستعمال اللغوي عند شخص معين في زمان و مكان معينين .

كان ذلك في القرن التاسع عشر ، ومع بداية القرن العشرين انشعب المنهج الوصفي إلى مدارس ، تعتمد لاحقتها على السابقة و تفيد من تجربتها ، و تنقدها و تحورها ، ثم تبني مدرسة جديدة . وهكذا تعددت صور المنهج الوصفي ، و اختلفت تحليلاته ز وظهرت فيه مذاهب فرعية منذ أن و ضع أسسه فرديناند دو سوسير ، و أشهر مدارسه ثلاث : ىالمدرسة البنيوية ، و مدرسة النحو التوليدي التحويلي ، و مدرسة القوالب .

**1ــ المدرسة البنيوية :**

منشيء هذه المدرسة اللغوي السويسري فرديناند دو سوسير ، فهو الذي أرسى أسسها بعد أن ضاق صدره بالمنهج التاريخي ، و اتضحت هذه الأسس في المحاضرات التي ألقاها في جامعة جنيف ، و نشرها طلابه تحت عنوان ( محاضرات في علم اللغة العام ) .

و أبرز ما يتجلى في هذه المحاضرات من المنهج الوصفي تحديد المادة المدروسة ، و الخروج في دراسة اللغة من التعميم إلى التخصيص أي دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ، و الفصل بين أمرين يعتقد المرء أنهما أمر واحد ، و هما ( الكلام ) و ( اللسان ) . فالكلام عند دو سوسير : كلام الفرد أو المنطوقات الفعلية التي يقولها إنسان واحد . أما اللسان فهو المواضعات و الإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع لغوي معين ، و تتيح لهم من ثمة الاتصال اللغوي فيما بينهم .

و بهذا الفصل استطاع دو سوسير أن يميز المستوى الفردي الذي يتأثر بذكاء الفرد و ثقافته و إرادته ( أي الكلام ) من المستوى الاجتماعي الذي هو البنية التحتية للغة المشتركة بين أفراد المجتمع ، وهي البنية التي يعمل البنيويون على كشفها ووصفها و دراستها ، وهي كما يسميها دو سوسير ( اللسان ) .

وبعد أن تمّ الفصل قرر دو سوسير أن اللسان نظام من العناصر المترابطة ، تشترك في بنائه الأصوات و المفردات و التراكيب على نحو ما ، و يتجلى في صورة من الصور ، و لهذا فاللغة عنده شكل لا مادة ، وهذا الشكل هو الجدير بالدراسة الوصفية ، و الدراسة الوصفية للأنظمة اللغوية الشكلية أساس علم اللغة عنده ، وعند من بنى بعده على نظريته البنيوية .

و أبرز المتأثرين بهذه النظرية فرانز بواز ، و أبرز ما قبسه منها الاهتمام البالغ بدراسة الأصوات و النظام الصرفي و الصيغ ، و الإيمان بأن التحليل الوصفي الجدي في الدرس اللغوي هو ذلك الذي ينصبّ على كل لغة على حدة و فقاً لأحوالها الخاصة . وهذا الرأي ترك صداه البعيد فيمن جاء من بعده من اللغويين ، و أصبح أحد المعتقدات الأساسية في الدراسات اللغوية الأمريكية التي انتهجت النهج الوصفي .

ومن أعلام البنيوية إدوارد سابير يلميذ بواز وقد أتم ما بدأه أستاذه أي عمم ما خصصه بواز ، و دعا إلى تطبيق المنهج الوصفي البنيوي على اللغات التي تجمعها روابط مشتركة . على مستوى الوحدات الأساسية كالاسم و الفعل .

ولم يحقق بواز و سابير من الشهرة ما حقق من جاء بعدهما وهو ليونارد بلومفيلد إذ استطاع أن يهيمن على حقل الدراسات اللغوية الغربية منذ أن نشر كتابه اللغة 1933 .

و أشهر ما اشتهر به بلومفيلد اعتقاده أن عالم اللغة عين ترصد ما يجري ، ولهذا فعليه أن يقصر عمله على مراقبة الظواهر اللغوية الخارجية التي تقبل القياس . والقياس الذي مارسه بلومفيلد محدود النطاق ، يطبق على الظواهر الشكلية من اللغة ، لأن على العالم اللغوي أن يعنى بأصوات الألفاظ أكثر من عنايته بمعانيها . ومع أنه لم ينصرف عن دراسة المعاني انصرافاً كلياً فإن الدراسة الصوتية للألفاظ ( الفونولوجيا ) و الدراسة الصرفية الشكلية ( المورفولوجيا ) طغتا في مدرسته على دراسة المعاني .

ولهذا يمكن القول بأن دراسة المعاني بقيت نقطة الضعف في نظرية بلومفيلد . وعلى الرغم مما قدمته البنيوية في مجال دراسة اللغة إلا أننا لا نستطيع أن نغفل أن اللغة هي وعاء الفكر و أن تحليل المبنى لا يغني عن دراسة المعنى .

و أبرز ما في التحليل البنيوي الانتقال من المركب إلى البسيط ومن البسيط إلى الأبسط ، أي من الجملة كما تسمع من أفواه الناس إلى الكلمات التي تتألف منها هذه الجملة ، ومن الكلمات إلى العناصر الصرفية المورفيمات و إلى العناصر الصوتية الفونيمات . ومن أبرز سمات البنيوية : أهم موضوعاتها دراسة النصوص اللغوية ، ومنهجها وصفي يعتمد على وسائل الاستكشاف ، و هدفها تصنيف العناصر اللغوية المدروسة ، والشكل عندها أهم من المعنى ، وهو أي الشكل يختلف من لغة إلى لغة أن أن لكل لغة بنية خاصة تنفرد بها .